حدود فلسطين الجنوبية والسيادة في سيناء

مها بسطامي

ضمن محاولات الحركة الصهيونية، واسرائيل، تثبيت الرابطة التاريخية فيما بين اليهود وفلسطين، والتقليل، في المقابل، من أهمية هويتها العربية الراسخة، سعى عدد كبير من الباحثين، والدارسين، اليهود الى تثبيت مقولة ان فلسطين لم تتخذ وضعاً متكاملاً، ككيان جغرافي ـ سياسي محدّد، الّا خلال فترة قصيرة من التاريخ اليهودي، شهدت خلالها حكم داوود وسليمان (عليهما السلام). وعلى الرغم من ان الحقائق التاريخية، خلال العهود المتتالية على فلسطين (الرومانية، والبيزنطية، والعربية الاسلامية المختلفة، والعثمانية المتأخرة) أكدت ان هذه الرقعة الجغرافية كانت، باستمرار، تمتلك وضعاً ادارياً محدّداً، ومميّزاً، وبالتالي، فان كلمة «فلسطين» كانت تعني مفهوماً جغرافياً وكياناً تاريخياً واضحاً لدى سكانها العرب والشعوب المحيطة بها، الّا ان المعالجة الصهيونية لهذا الموضوع تصرّ على القفز فوق هذه الحقب التاريخية الطويلة، والتغاضي عن هذه المعطيات الادارية، والسياسية، لتشير الى ان فلسطين لم توجد الّا في الوعي اليهودي كتعبير «ارض ـ اسرائيل»[1]. وشدّدت الكتابات الصهيونية بالذات على العهد العثماني، الذي فرضت اجراءاته الادارية أن تضع فلسطين ضمن ولاية الشام مترامية الاطراف، كما فرضت التقلّبات السياسية والادارية المتلاحقة، وحالة التخلّف الاقتصادي والاجتماعي الهائلة، التي عمّت معظم ارجاء السلطنة العثمانية، منذ القرن السابع عشر، تغليب الولاء العائلي، والمحلي، على ما عداه من أشكال الولاء السياسي، والوطني، لدى غالبية شعوب السلطنة.

الّا ان رياح التغيير بدأت تهبّ على الولايات العثمانية خلال القرن التاسع عشر، وذلك تأثّراً بالحركات القومية التي اجتاحت اوروبا، في اعقاب الثورة الفرنسية. ولم تكن فلسطين بعيدة من هذه المسارات، خاصة وان الاهتمام الاوروبي تركّز عليها، تحت ستار حماية الطوائف الدينية المتعددة. ولجأت الدولة العثمانية، في محاولتها التصدي للاطماع الاوروبية، الى سلسلة من الاجراءات الادارية للحفاظ على وحدة اراضي السلطنة، لا سيما بعد التهديد المباشر الذي شكّله والي مصر الطموح، محمد علي باشا، الذي وقفت جيوشه على مشارف العاصمة اسطنبول.

لمحة تاريخية

أثارت فتوحات والي مصر، محمد علي باشا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٩)، وابنه ابراهيم باشا، في سوريا وجنوب الاناضول، في الثلاثينات من القرن الماضي، مخاوف حقيقية لدى الدول الاوروبية الكبرى، نظراً الى خشيتها من نشوء قوة اقليمية تهدّد خطوط المواصلات الاستراتيجية، براً وبحراً، التي